

## الانسان والأرض في وادي موسى عبر العصور

### د. خيرية عمرو

#### دائرة الآثار العامة

#### " ملخص "

تعتبر المناطق المجاورة للبتراء بشكل عام، ووادي موسى بما حباها الله من مياه وفيرة وارض زراعية ومناخ طيب بشكل خاص، من أغنى مناطق الاردن بالمواقع الأثرية، وتم حتى الآن اكتشاف 33 موقعاً أثرياً ضمن حدود التنظيم في مدينة وادي موسى، سجلت في مجملها قصة الانسان على هذه الأرض عبر العصور.

منذ العصر الحجري الوسيط، أي منذ أكثر من أربعين ألف سنة، قام الانسان بالصيد وجمع الطعام في الغابات التي كانت تغطي سفوح الوادي، ومع تغير المناخ بُعيد العصر الجليدي الأخير ( او الحقبة المطيرة في منطقتنا ) ، بنى أهالي وادي موسى إحدى اقدم القرى المعروفة في العالم حتى الآن في موقع البسيط، حيث استغل الانسان الظروف المناخية الجديدة للقيام بالزراعة مما استدعى سكنه في قرى دائمة. وأدت أساليب إنتاج الطعام الجديدة الى أول "انفجار سكاني" عرفه العالم، كما أدت الى مفاهيم ملكية الأرض والإرث، أي نشوء المجتمع البشري كما نعرفه حالياً، وتتميز المنطقة بوجود أكبر كثافة معروفة حتى الآن لهذه القرى الزراعية الأولى. هذا ولم يتوقف الانسان في وادي موسى عن الزراعة منذ تلك الفترة.

مع فجر الحضارة خلال العصر البرونزي، اتضحت أهمية الموقع الجغرافي حيث ان معظم ما نعرفه عن المدينة هو عبر اتصالها بمصر عن طريق التجارة. أما خلال العصر الحديدي وفترة مملكة أدوم، فتشهد المواقع الأثرية على ثراء وقوة المنطقة، وانشغال انسانها بالتجارة الى جانب الزراعة، والتحصينات لحماية هذا الثراء.

لا زالت الدلائل المادية على وضع وادي موسى عند مجيء قوات الاسكندر قليلة، إلا ان المنطقة شهدت ازدهاراً كبيراً في الفترة النبطية تدل عليه مدينة جيا الممتدة بقطر حوالي 1 كم تحت وسط وادي موسى الحالية. أحاطت بهذه المدينة القرى الزراعية، كما استغل الصانع النبطي الخصائص الفريدة في تكوينات الصلصال الطبيعية في منطقة القرارة لإنتاج الفخار النبطي المميز، وبنى المشاغل في الزرابة، واستعمل حجر الشراه لصنع المنحوتات والزخارف، وبالطبع، ازدهرت التجارة وهندسة الري بجانب الزراعة والصناعة، وتدلنا مقبرة النقلة على عادات ومعتقدات العائلات النبطية بشكل لم تقدر عليه قبور البتراء الفخمة.

من المعروف ان الحضارة النبطية لم تنته باحتلال الرومان لمملكة الانباط عام 106م، واستمرت مدينة جيا وضواحيها ومنشأتها الصناعية بالازدهار عبر الفترات الرومانية والبيزنطية، إلا ان القلاقل التي سادت جنوب الاردن، وربما أيضاً العوامل الطبيعية، أثرت في وضع المدينة عند نهاية الفترة البيزنطية، ومع مجيء الفتوحات الإسلامية لم يكن هنالك أي ذكر لها مما حدا بالمؤرخين الى الاعتقاد بأن المنطقة

خلت من السكان باستثناء البدو الرحل. إلا ان الاكتشافات الأثرية دلت على وجود مجتمعات زراعية مزدهرة خلال تلك الفترة استمرت بالاعمار والبناء عبر الفترات الإسلامية كافة.

ومع مجيء الصليبيين كانت وادي موسى منطقة مزدهرة معروفة ببساتينها وأشجار الزيتون فيها، وما بناء قلعتين في المنطقة إلا دليل على أهميتها وقدرتها على تزويد الجنود باحتياجاتهم. أما تحرير الأرض فقد ساهم بشكل كبير في تسارع ازدهارها، إذ نرى القرى وقد انتشرت على رقعة الأرض، وبنيت معاصر الزيتون في عدة أماكن خلال الفترتين الأيوبية والمملوكية، وتم استغلال المصاطب الزراعية على أفضل وجه، وتدل المكتشفات الأثرية على التجارة مع شمال سوريا ومصر والعراق.

تشير الدلائل الأثرية الى استمرار الزراعة في قرى وادي موسى عبر الفترة العثمانية، رغم القلاقل وتنقلات العشائر، كما تقف الطواحين المنتشرة على ضفاف الأودية شاهداً على أهميتها الاقتصادية خلال تلك الفترة. وهكذا سكن الانسان محيط البتراء قبل قيامها، وتفاعل معها واستمر بالعيش في هذا المحيط بعد اندثار البتراء، وما التاريخ الحالي إلا استمراراً لعلاقة هذا الانسان بالأرض ومن ضمنها مدينة الأنباط الخالدة.

BAIT AL-ANBAT

بيت الأنباط